﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـنـوّع آيـاتِ الله للتّعريف بعظمتِه وقدرتِه ﷻ

لمّا ذكرَ أنواعَ العذاب الذي وقعَ على قوم لوطٍ، وما تقدَّمه من ذكرِ ضيفِ إبراهيم، وقصَّة لوطٍ، أفادَ أنَّ الإخبارَ عن ما عمّا تقدَّم بأنواعِه هو آياتٌ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وجاءت الجملة تذييلًا للقصَّة لما فيها منَ العبرة لعمومِ المخاطبين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: أصلُ (وسم): يَدُلُّ على أثَرٍ ومَعْلَم، ووَسَمتُ الشَّيءَ وسْمًا: أثَّرْتُ فيه بِسِمَةٍ[1]، والسّيما ياؤُها في الأصل واوٌ، وهيَ العَلامَةُ يُعرَفُ بها الخيرُ والشَّرُّ[2]، والوَسْميُّ: أوَّلُ المطَرِ؛ لأنَّهُ يَسِمُ الأرضَ بالنَّباتِ، وسُمّيَ مَوسِمُ الحاجِّ موْسِمًا لأنَّهُ مَعْلَمٌ يَجتمِعُ إليه النّاسُ، والتَّوسُّم يقرب مِن الفَراسة، هو الَّذي سمّاهُ القوم: الزَّكانة، وقومٌ: الفِطنة، وقومٌ: الفراسة[3]، والمُتَوَسِّمُ: المُتَحَلّي بسِمَةِ الشُّيُوخِ، وهو مَوْسومٌ بِالخَيْرِ والشَّرِّ[4]، والمُتَوَسِّمونَ: أصحابُ التَّوَسُّم، وهو التَّأمُّلُ في السِّمَةِ، أي: العلامَةِ الدّالَّةِ على المَعْلَم، والمُرادُ بـ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ في الآية: المُتأمِّلون في الأسبابِ وعَواقبها، أولئكَ هُمُ المُؤمِنونَ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـن تـجـرَّأ على الـسَّـيـئـات، عـوقـب بأشنع العقوبات

إنَّ في قصَّةِ قَومِ لوطٍ وما فعَله اللّه ﷻ بهم منَ العذابِ، وبقاءِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وسم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (وسم).
(3) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (وسم).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (وسم).

آثارِ هَلاكِهم، لَعلاماتٍ للمُتفَرِّسينَ المتأمِّلينَ المتفكِّرينَ، الذين لهم فِكرٌ وفِراسةٌ يفهمونَ بها ما أُريدَ بذلك، فيَعتَبِرونَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصلِ الجملة عن سابقتها:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، جاءت الآية على طريق الفصل، لأنَّها استئنافٌ بيانيٌّ؛ فإنَّه بعدَ أنَّ قصّ الآياتِ كان كأنَّه قيلَ: هل في هذه الآياتِ العظيمة عظة للنّاظرين المعتبرين؟ فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، أو لأنَّها جملةٌ تذييليَّةٌ لتأكيد مفهوم الكلام السابق، فإنَّ في ما حُكي من قصَّة ضيف إبراهيم، وقصَّة لوطٍ مع الملائكة، ونجاته وأهله إلّا امرأته منَ العذاب، وإهلاكِ قومِه المجرمين آياتٍ وعظاتٍ لكلِّ المتفرّسين النّاظرين في حقائق الآياتِ.

آيات الله عظةٌ للنّاظرين، وعبرة للمعتبرين

فائدة تتابع التّأكيدِ في نصّ الآية المفيد:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، لمّا كانت هذه الآياتُ لجميعِ المخاطبين منَ المتّعظين وغيرِهم، ولمّا لم يعتبر بها المكذّبون بعدَ مرورِهم بها ورؤيتِهم لها أقامَهم مقامَ غيرِ المتوسّمين المتّعظين، وقرَّر أنَّ الانتفاع منها يكون للمتوسّمين المعتبرين، ففي الآيةِ حثٌّ على الاعتبار بقصص الأقوام السابقين التي يخبر الله عنها، والغرضُ الأسمى من حكاية قصص الأقوام السابقين في القرآن هو الانتفاع منها والاعتبار بها، لتكونَ آياتٍ للمتوسّمين.

الاعتبار هو الغرضُ الأسمى من حكاية قصص السّابقين في القرآن

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ في السّياق المذكور:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، قُدِّمَ المسندُ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ على المسند إليه للاهتمام والعناية به، ولا يفيد التّقديمُ هنا الاختصاص.

تقديم عناصر الجملة وتأخيرها، من البيان الفصيح

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/543، والسّعديّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 433.

براعة إدخال حرف الجرّ ﴿فِي﴾ على اسم الإشارة:

الاعتبار يكون بالنّظر إلى بواطنِ الأمور، وليس إلى ظواهرِها فحسب

أفاد حرف الجرّ ﴿فِي﴾ الذي يفيد الظّرفيَّة أنَّ المتوسّمين ينظرون في باطنِ الآياتِ؛ للإشعار بأنَّ الاعتبار بها ليس بالنّظر إلى ظواهرِها، فكأنَّ ما ذكر منَ الأخبار ظرفٌ قد جمعَ الآياتِ للمتوسّمين وأحاطَ بها، فلا يدركُها إلّا النّاظرون فيها.

نكتةُ استعمال اسم الإشارة للبعيد دون القريب:

رفعة شأنِ المعتبرين بآياتِ الله، لخشيتهم منه غالبًا

عُبِّرَ باسم الإشارة الذي للبعيد؛ للإشعار بأنَّ هذه الآيات لا يعتبر بها إلّا المتوسّمون؛ لبعدِ مكانتِها عنِ الاعتبار من جميعِ المخاطبين؛ ليفيد بُعدَ مكانةِ المتوسّمين في الآيات ورفعةَ شأنِهم.

نكتةُ جمعِ الآيات دون إفرادِها:

المتدبّرون يرون الآياتِ بحقائِقِها، لا بأشكالها فقط

جمع الآيات للإشارة إلى كثرتِها وتنوّعها بما قصَّ اللّه من حديث ضيف إبراهيم ومجيئهم لوطًا وتعرُّضِ قومِه لهم طمعًا فيهم، وما كان من أمرهم آخِرًا من إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين وقلب المدينة على مَنْ فيها، ففي كلِّ واحدةٍ منها آية، وفي جميعها آياتٌ لمن يتوسَّم ويعتبرُ[1]، وفيه إشعارٌ بأنَّ المتفرّسين يرون الآياتِ ويتأمّلونها بتفصيلاتِها وحقائِقِها لا بظواهرِها.

فائدة تنكير لفظ ﴿لَّآيَٰتٍ﴾ في السّياق:

الحثُّ على الاعتبار بآياتِ الله الكثيرة، من مسالك الإيمان

أفاد تنكير لفظ ﴿لَّآيَٰتٍ﴾، في سياق الامتنانِ تعظيمَ الآياتِ المذكورةِ وتفخيمَها، للحثِّ على الاعتبار بها والانتفاع من خبرِها.

معنى اللّامِ في قوله: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾:

اختصاص المتوسّمين بالاعتبار، من سبل المبالغة في الادّكار

أفادت اللّام معنى الاختصاص، بمعنى: أنَّ الآياتِ المذكورة مختصَّةٌ بالمتوسّمين لا تتجاوزهم إلى غيرِهم على سبيل المبالغة.

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 2/819.

فائدة (أل) في قولِه ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾:

التّوسُّم في آيات الله، صفة مدحٍ وثناءٍ من الله

تفيد (أل) الاستغراق، بمعنى: إنَّ في ذكر ما تقدَّم منَ الأخبار آياتٍ لِجميع أفراد المتوسّمين، ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي)، بمعنى: الذين يتوسّمون، لتعظيم شأنِ المتوسّمين ومدحِهم.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾:

في إهلاكِ العاصين، وإنجاء الصّالحين، تنبيهٌ لأمّة الإسلام في اللّاحقين

حقيقة المتوسِّم في اللغة: هو الّذي يعلمُ باطنَ الشّيءِ بسِمَةِ ظاهرِه[1]، فالمتوسّمون هم المتفرّسون بالنّظر المتثَبِّتون فيه حتى يعرفوا حقيقة الشّيءِ بسمتِه[2]، فعبَّرَ بالمتوسّمين؛ لأنَّهم الذين ينظرون في وسم المعنى فيستدلّون به على المعنى، فينظرون فيه نظر المتثبِّت، فلمّا أبقت معصية قوم لوطٍ منَ العذاب والإهلاك وسْمًا، كان مَن رأى الوسم استدلَّ به على معصيتِهم، واقتاده النَّظر إلى أن يسأل عن سببِ هلاكِهم ليتجنَّبَ المعاصي لئلّا ينزل به ما نزل بهم، فينزجر عن صنيعه ويتعظ به، لأنَّه يعلمُ أن الذي أهلك قومَ لوط قادرٌ على إهلاك الكفّار المكذّبين، ففي التّعبير بلفظ المتوسّمين تذكيرٌ بأنَّ في إهلاكِ الأمم الماضية وإنجاء المؤمنين منهم إيقاظًا وانتباهًا ووعدًا ووعيدًا وتأديبًا لهذه الامَّةِ، والمعنى فاعتبروا بأحوالهم واجتنبوا أفعالهم، فهذه ديار الظالمين ومصارعهم[3].

بلاغةُ التَّعريضِ في لفظ ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾:

من لم يتّعظ بالأمم السّابقة، فليس من أهل الاعتبار

في ذكر المتوسّمين تَعْريضٌ بِالَّذينَ لَم تَرْدَعْهُمُ العِبَرُ بأنَّهُم دونَ مَرْتَبَةِ النَّظَرِ، ففي الكلام تَعْريضٌ بِالمُشْرِكينَ وبكلِّ مَن لم ينتفعْ من قصص الأقوام السابقين، الَّذينَ لَم يَتَّعِظوا بأنْ يَحِلَّ بِهِم ما حَلَّ بِالأُمَمِ من قَبْلِهِمُ الَّتي عَرَفوا أخْبارَها ورَأوا آثارَها، أي: إنَّهم ليسوا

(1) الطيبي، حاشية على الكشاف: 9/55.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 12/639.
(3) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/185، والماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/456، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/370، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/215، والبروسوي، روح البيان: 4/481.

من أهل النّظر والاعتبار، وإنَّهم إنّما ينظرون في ظواهر الأمور دونَ حقائِقِها وبواطنِها[1].

بلاغة التَّذييل في نهاية الآية الكريمة:

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، لمّا جاءت الجملة على معنى العمومِ بما تقدّم من تفخيمِ الآيات واقترانِ (أل) التي للاستغراق في المتوسمين، ومجيءِ الآية بطريق الفصل لتأكيدِ مفهومِ الكلامِ كانت الجملة تذييلًا للكلام[2] لتفيد معنى الحكم الكلّيِّ، فتخرجَ مخرجَ المثل في حكايتِه وفشوِّ استعمالِه واستقلالِه والاستدلالِ به.

الجملة تفيد عمومَ المعنى، وكونها بمثابة المثل في حكايتِها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/69.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/69.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»